مساهمات تونسية في وضع المصطلحات العلمية

أ.سعـــد غـــراب

رئيس المجمع التونسي للعلو م والآداب والفنون

بيت الحكمة - قرطاج

لاشك أن موضوع المصطلحات العلمية في اللغة العربية هو من أهم المواضيع التي شغلت مؤسساتنا اللغوية منذ قرنين أي منذ الاحتكاك بالثقافات الغربية الغازية واكتشاف عمق الانفجار المعرفي الكبير في الثقافات الأروبية وتعثر الحضارة العربية الإسلامية في مواكبتها.إلا أنّ هذه التجربة ليست جديدة في ثقافتنا العربية فقد سبق للّغة العربية أن احتكت بلغات أخرى وثقافات أخرى واقتسبت منها واستفادت وتعاملت معها تعاملا إيجابيا كان مثالا لحيويّة الثقافة العربية في عصور ازدهارها خاصة بداية من أوائل القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي عندما أسس الخليفة المأمون العباسي بيت الحكمة المشهور سنة 832/217.

إن تلك الصفحات مشهورة لديكم وليست في حاجة إلى التذكير بها ولكني أردت بهذه المناسبة الطيّبة أن ألمح فقط إلى بعض المساهمات التونسية في وضع المصطلحات العلمية قديما وحديثا دعما لأواصر الاخاء وتأكيدا للروابط المشتركة التي تجمع بين أصقاع العالم العربي والتي تعمل جميعها لخدمة اللغة العربية.

لئن فترت الروابط السياسية بين أصقاع العالم العربي الإسلامي في القديم والحديث لأسباب يطول شرحها وليست موضوع ندوتنا هذه فإن الروابط الفكرية كانت دوما صامدة في وجه كل التقلّبات وقديما كانوا يحبّون تسمية بلدان في المغرب الإسلامي بأسماء بلدان من المشرق الإسلامي وما ظهرت حركة فكرية ذات شأن في المشرق إلا وجدنا صداها في المغرب فهذه حركة المعتزلة مثلا تظهر في البصرة وبغداد في عهد الخلفاء العباسيين المأمون والمعتصم والواثق، ويمتحن ابن حنبل ثم يردّ أهل السنة الفعل بداية من عهد المتوكل فنجد نفس الأحداث تقع في نفس الفترة تقريبا في القيروان في عهد الاغالبة الذين كانوا قد استقلوا عن العباسيين استقلالا شبه تام (1).

ويرجّح الباحثون (2)أنه ظهر أيضا في القيروان بيت حكمة على منوال بيت الحكمة البغدادي وكان له دور شبيه بشقيقه الأكبر. وكان من أبرز أعلامه الأولين إسحاق بن عمران(ت892/279) صاحب " الأدوية المفردة" أول معجم علمي مختص يؤلف بالعربية(3). واسحاق بن سليمان (ت953/341) صاحب " كتاب الأغذية" وهو أول موسوعة في الأغذية مقسمة إلى أربع مقالات جاء في بدايتها قول صاحبها: " إني جمعت فيه جميع ما يحتاج إلى معرفته من أمر الأغذية ممّا قاله جالينوس وغيره من الحكماء في أربع مقالات وأفردت المقالة الأولى بكلام جنسيّ ودلائل عاميّة تنبئ عن أجناس الأغذية وقواها،وأكملت القول في المقالات الثّلاث بكلام نوعيّ ودلائل شخصيّة محضة عن كلّ واحد من أنواع

الأغذية على انفراد"(4).

ا–مساهمات قديمة

•ابن الجزّار(ت حوالي 369هـ/979م)(5)

من أبز المساهمين في هذا المجهود الطبيب أبو جعفر أحمد بن الجزار المولود بالقيروان حوالي 285/898 وهو من عائلة طبّية ومارس الطب وألف فيه. ومن أهم ما وصلنا من تآليفه ويتعلق بموضوعنا كتاب " سياسة الصبيان وتدبيرهم" الذي نشره بتونس الدكتور محمد الحبيب الهيلة (الدار التونسية للنشر سنة 1968). ومن أهم ما ترك لنا ابن الجزّار: "زاد المسافر وقوت الحاضر" الذي نشرت مقالاته الثلاث الأولى منذ سنة 1986 ببيت الحكمة بقرطاج وبقية المقالات هي الآن قيد الطبع.

ولابن الجزّار " كتاب الاعتماد في الأدوية المفردة"(6) تحدث فيه عن " المفردات الطبية" فكانت للكتاب–لذلك– أهمية لغوية معجمية أيضا وهو من أوائل ما ألف في المعاجم العلمية المختصة في اللغة العربية (7).وقد أشار الأستاذ ابن مراد إلى أهمية مسألة التداخل اللغوي فيه إذ مثلت المصطلحات الأعجمية 176 مصطلحا من جملة 278 فدل ذلك على أهمية الاقتراض اللغوي حسب الترتيب التفاضلي التالي: الفارسيّة ثم اليونانيّة فالسريانيّة والآراميّة والعبريّة واللاتينيّة والهنديّة والسنسكريتيّة والمصريّة القديمة.وقد اتبع ابن الجزّار في تعريف المصطلحات المداخل في كتابه طريقة تكاد تكون موحدّة،فهو يبدأ المادّة–في الغالب–بتعريف لغويّ يغلب عليه–في أكثر الأحيان–التعريف الترادفيّ (Définition synonymique) الذي يقدّم فيه مرادف–أوأكثر– أعجميّ،باللغة اليونانية أو الفارسية أو السريانية أو البربرية،للمصطلح العربي،ويعقب التعريف اللغويّ تعريف علمي منطقيّ يوصف فيه النّبات أو المعدن المتحدّث عنه وصفا علميّا يحاط فيه بخصائصه الطبيعيّة،ثم يعقب التعريف العلميّ وصف مطوّل لخصائص الدواء الطبيّة والعلاجيّة(thérapeutique) وهو القسم الذي يتوسّع فيه ابن الجزّار أكثر من غيره في كل مادّة (8).وأكد الأستاذ ابن مراد أيضا على التداخل الثقافي الذي نتبينه من المصادر المعتمدة.

•ابن عرفة(ت803/1401) (9).

ومن أبرز علماء تونس في العلوم الدينية الفقهية في القرن الثامن الهجري المالكي ابن عرفة الورغمي إمام جامع الزيتونة قرابة النصف قرن. وقد اشتهر خاصة بمختصره الفقهي الكبير الذي ما زال مخطوطا في أربع مجلدات ضخمة.

وقد اشتهر ابن عرفة في القرون الستة التي تبعت وفاته أيضا بحدوده،وهي في الحقيقة التعاريف التي بدأ بها أبوابه الفقهية مختصره الفقهي،وليست كتابا مستقلا كما ذهب إلى ذلك البعض(10).ولعل سبب هذا الخطأ يرجع إلى أن الرصاع(ت894/1489) قد استخرجها من كتابها الأم وخصّها بشرح سماه: " الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية" (11).ثم جمع بعض النساخ هذه الحدود مستقلة في بعض الوريقات فكانت عبارة عن قاموس صغير لمصطلحات الفقه المالكي أثرت كثيرا في اللاحقين وأصبحت عمدة مؤلفي المالكية من بعد ابن عرفة ، بها يستفتحون في الغالب كتاباتهم عن مختلف الأبواب الفقهية بل أصبحت تحفظ وتستظهر عن ظهر قلب عندما طغى بعده أسلوب المختصرات.

II-مساهمة بعض التونسين في المجامع اللغوية العربية

ومن أبرز التونسيين المهتمين بقضية المصطلحات في القرن العشرين بعض الرواد التونسيين الأعضاء في المجامع اللغوية العربية وخاصة المجمع العلمي العربي بدمشق ومجمع اللغة العربية بالقاهرة ولا يخفى عليكم العناية الكبيرة التي أعارتها المجامع العربية لقضايا اللغة والمصطلح وما اجتماعنا هذا إلا مثال منها.

*** حسن حسني عبدالوهاب (1884-1968)(12)**

هو المؤرخ والمحقق التونسي الكبير الذي عين عضوا عاملا بالمجمع العلمي العربي بدمشق منذ تأسيسه سنة 1919 وكان أيضا عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة منذ تأسيسه سنة 1932وترأسه في بعض دوراته باعتباره أكبر المجمعيين سنا وكان نائب رئيسه في سنواته الأخيرة. وقد اشترك المرحوم ح.ح.عبدالوهاب في عديد اللجان المجمعية مثل لجنة اللهجات ولجنة الأصوات الأعجمية ولجنة الازدواجية وقد حوصل الأستاذ رشاد الحمزاوي آراءه في مشاكل اللغة فقال:"أما فيما يتعلق بآرائه في وضع المصطلحات العلمية والفنية فإنه يجدر بنا أن نقسمها إلى قسمين:

1-موقفه المنهجي منها.

2-تشدده في ضبطها وإقرارها.

ومن هذين الموقفين تبرز لنا تجربته الإدارية الطويلة التي علمته أن كل عمل يحتاج إلى نهج ونظام كمل تبرز لنا معالم ثقافته المزدوجة الواسعة التي أهلته إلى معرفة دلالات الكلمات ودقائقها" (13).

*** الخضر حسين(1877-1958) (14).**

هو العلم المجمعي الثاني الذي كان عضوا في مجمعي دمشق والقاهرة وأصبح في أواخر حياته شيخ الجامع الأزهر.وقد عين عضوا عاملا بالمجمع العلمي العربي بدمشق منذ تأسيسه سنة 1919 "وبقي عضوا عاملا في لجانه طيلة المدة التي قضاها بسوريا ثم أصبح مراسلا عند التحاقه بمصر واستقراره بها نهائيا" (15). وقد أصبح أيضا عضوا بمجمع القاهرة منذ تأسيسه وترأس لجنة اللهجات وساهم في أشغال عدة لجان أخرى أهمها:

-لجنة الآداب والفنون.

-لجنة دراسة معجم المستشرق فيشر المتعلق بالألفاظ القرآنية.

-لجنة المعجم الوسيط.

-لجنة الأعلام الجغرافية.

كما ألقى عدة محاضرات وبحوث نشرت بمجلة المجمع منها:

-المجاز والنقل(نشر في الجزء الأول ص 291).

-الاستشهاد بالحديث في اللغة(نشرفي ج3 ص197).

-وصف جمع العاقل بصيغته فعلاء(نشر في ج7 ص254).

-اسم المصدر في المعجم (نشر في ج 8 ص147).

وشارك في المؤتمر الطبي العربي المنعقد بالقاهرة سنة 1939م نيابة عن المجمع وألقى بحثا عنوانه:"طرق وضع المصطلحات الطبية وتوحيدها في البلاد العربية" (16).

وكان للشيخ الخضر حسين اهتمام باللغة منذ بداية حياته إذ سبق له قبل أن ينتقل إلى المشرق العربي أن حاضر بنادي جمعية قدماء الصادقية بتونس سنة 1909 عن "حياة اللغة العربية"وقد طبعت هذه المحاضرة في نفس السنة بتونس.. ثم أعيد نشرها في كتاب " دراسات

في العربية وتاريخها" الذي يحوي عدة مقالات وبحوث للمؤلف تتعلق بقضايا اللغة... أما الغرض من إلقاء هذه المسامرة فهو يتمثل في أمرين: أولهما البحث عن حال اللغة من حيث ألفاظها،والأطوار التي مرت بها، واتساع نطاقها وارتقاؤها مع المدنية.وثانيهما دحض " الشبه " التي أوحى بها بعض المحاضرين القائلين بعجز اللغة العربية عن مسايرة العصر وحاجات المدنية الحديثة(17).

وبالجملة، فلئن كانت آراء محمد الخضر حسين لا تخلو من محافظة فإنه خدم اللغة العربية خدمة جليلة وأصّل منهجيّة وضع المصطلح وكان من المتحمّسين لتوحيدها.

III-مساهمات تونسية على مستوى البحث والتدريس

نقصد بهذا القسم التلميح إلى مجهودات مجموعة من الأساتذة التونسيين قبيل الاستقلال وبعده بقليل أي من حوالي 1945 إلى حوالي سنة 1960 وقد قامت هذه المجموعة بمجهود كبير في إصلاح التعليم الزيتوني وتطويره بإدخال العلوم العصرية وبالكتابة خاصة في مجلة المباحث التونسية قبل الاستقلال ومجلة الفكر بعده والصحف اليومية المختلفة دفاعا عن العربية وحماسا لقدرتها على تأدية مختلف العلوم وقد ألقوا أيضا محاضرات متعددة على منابر مختلفة مثل: الخلدونيّة- جمعية قدماء الصادقية- الجامعة الحرة...

ومن أبرز المشاركين في هذه الحركة الأساتذة: محمد السويسي(الرياضيات).أحمد الفاني(1910-1992) (فيزياء) البشير قوشة(فيزياء كيمياء) الحبيب زغندة (طبيعيات).زكرياء بن مصطفى (طبيعيات)محمد المغنم(رياضيات)....

وكان لهم أيضا دور كبير في تدريس العلوم بالعربية عندما أقرّ إصلاح التعليم بتونس سنة 1958 وأنشئت شعبة "أ" المعروفة بالشعبة الأصلية التي كان في الحسبان أن تعمّ التعليم الثانوي.وسنكتفي بالإشارة إلى أنشطة أبرز هؤلاء الجماعة وهو الأستاذ محمد السويسي المولود سنة 1915 -أطال الله عمره-(18)أستاذ الرياضيات وأستاذ اللغة والآداب العربية كذلك،وهو أستاذ مشهور بتحقيقاته العلمية المختلفة وبدراساته العميقة في تاريخ العلوم، وله حضور دائم في الملتقيات التي لها صلة بالتعريب والمصطلحات وتاريخ العلوم عند العرب.

ومن أهم تآليف الأستاذ محمد السويسي في الرياضيات والتي ساهمت في تطوير التعليم الزيتوني وتعريب العلوم:

-أصول الجبر،نشر الإرادة1366/1947، تونس78 ص(برنامج شهادة التحصيل).

-خلاصة الحساب ،نشر الإرادة 1367/1948، تونس ،90 ص .(طبعة ثانية سنة 1951)(برنامج شهادة الأهلية).

-خلاصة الحساب،نشرالإرادة 1367/1948، تونس /60 ص (طبعة ثانية سنة 1951)(برنامج شهادة السنة الرابعة للتعليم الزيتوني).

-خلاصة الحساب،نشر الإرادة 1369/1949، تونس،82 ص(برنامج السنوات الأولى للتعليم الزيتوني).

-بغية الطلاب في فقه الحساب،تونس 1952.

-كتاب أصول الرياضيات(بالاشتراك مع أساتذة من التعليم الثانوي طبقا لبرامج الشعبة الأصلية المعرّبة، تونس

1960).

وأهم دراساته هي" لغة الرياضيات في العربية، دراسة ومعجم" (1942 مصطلحا) أصلها باللغة الفرنسية وترجمت إلى اللغة العربية ونشرت ببيت الحكمة بقرطاج سنة 1989.وهو عضو مراسل لمجمع اللغة العربية بدمشق منذ سنة 1986 وعضو عامل بعديد المؤسسات الأخرى.

IV-مساهمات حديثة

توجد الآن مدرسة لغوية تونسية عصرية لها بحوث علمية رائدة في مختلف ظواهر اللغة العربية ومن أبرز أعلام هذه المدرسة الأساتذة:عبدالقادر المهيري-محمد رشاد الحمزاوي-عبدالسلام المسدي-محمد الهادي الطرابلسي-حمادي صمود-إبراهيم بن مراد...

وسنكتفي هنا بالإشارة إلى بعض الأعمال التي لها صلة متينة بموضوع ملتقانا هذا أي " تطوير منهجية وضع المصطلح العربي وبحث سبل نشر المصطلح الموحد وإشاعته".

ومن أبرز المشتغلين في هذا الميدان الأستاذ محمد رشاد الحمزاوي الذي اهتم بمسائل اللغة والمصطلح مدة طويلة في أطروحته عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة تاريخه وعمله: L'Académie de Langue du Caire,Histoire et Oeuvre (19).ونشر كذلك دراسة قصيرة بعنوان "مجمع اللغة العربية بدمشق ومشكل ترقية اللغة العربية ووضع المصطلحات وإصلاح أوضاع اللغة(دار التركي للنشر-تونس 1988)وقد ختمه بفهرس للألفاظ أنهت فيه "بعض المصطلحات الواردة في هذا المؤلف اعتباراً إلى ما طرحته من مسائل تتعلق بطرق نقلها إلى العربية"(20). وله معجم عربي أعجمي (فرنسي وانكليزي في الغالب) وأعجمي عربي للمصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية(21) جمع فيه 1200 مصطلح. ورأى د. الحمزاوي من الضروري وضع هذا المعجم لأن احتكاك العربية بالمدارس اللغوية العربية الحديثة حورت نظريتنا إلى اللغة ووظيفتها ومناهج دراستها وتدريسها ووضعت مصطلحات عديدة أقل ما يقال فيها إنها بدخولها العربية، ترجمة أو تعريبا أصبحت تفرض علينا أن نستقرئها وأن نصفها باعتبار أنها كلمات مفاتيح تساعدنا على وضع قضية توحيد المصطلحات اللغوية في العربية وعلى كشف نوعية المسائل اللغوية الحديثة التي تستأثر بعناية اللغويين العرب المحدثين (22). و لم يدّع المؤلف حصر كل المصطلحات اللغوية وإنما ركز عمله على الكتب اللغوية العربية المؤلفة والمترجمة التي تناولت بالدرس المسائل اللغوية على ضوء علم اللغة الحديثة وهي تمثل مدارس مختلفة باعتبار تأثرها بالمدارس الغربية،لا سيما الانكليزية والفرنسية والأمريكية، وتعكس آراء أصحابها من العرب في المغرب والمشرق. ولقد اخترناها باعتبار هذا الاختلاف المدرسي والجغرافي لتعكس مختلف الاتجاهات وتسمح بالأخذ من أكبر عدد ممكن من الآراء.فنقدم "مدونة" تشمل جناحي العالم العربي على اختلاف مشاربه ونزعاته اللسانية الحديثة (23).وهذا العمل ناتج بالأساس عن اقتناع "بأن المصطلحات تنشأ من الاستعمال"(24).

وألحق د.الحمزاوي بمعجمه هذا معجما موحدا يشمل حوالي 466 مصطلحا من جملة 1200 وبين في مدخل لها المنهجية المتبعة في مشروع المعجم التوحيدي هذا وأكد خاصة على وجوب الانطلاق من منهجية استقرائية تعتمد الاستعمال الشائع وأكد أيضا على

وجوب تعريف المصطلحات بحسب سياقها ومحاولة التأريخ لها قدر المستطاع تمهيدا لوضع أسس "المعجم العربي التاريخي".

ويحيل د.الحمزاوي في النهاية على مؤلف مخصّص لجميع المصطلحات الحديثة وعنوانه:المنهجية العامةلوضع المصطلحات وتوحيدها وتنميطها(الميدان العربي)(25).

و لم نتمكن من الاطلاع على هذا المؤلف إلاّ أننا قرأنا للكاتب مقالا بمجلة (اللسان العربي) عدد 24 سنة 1985 بعنوان: "المنهجية العربية لوضع المصطلحات من التوحيد إلى التنميط" ص 41-51.

ولقد سبق للدكتور الحمزاوي أن كتب عن توحيد المصطلحات فقال :"إن قضية التوحيد تحتاج إلى برنامج يكون موضوع مخطط لتنمية اللغة مثله مثل المخططات الاقتصادية والاجتماعية التي تعتبر اللغة جزءا منها ويمكن أن يكون ذلك النمط التالي:

-رصد ما يزيد على واحد في المائة من مدخول كل قطر عربي للبحث العلمي ولمكافأة الباحثين مكافأة مفيدة حتى يتفرغوا لذلك البحث.

-ربط قضايا اللغة بالقضايا الاجتماعية والاقتصادية والادارية والمذهبية في الأقطار العربية.

-تكوين هيئة علمية عربية عامة تنسق برنامج البحوث وذلك حسب سنوات معينة.ولا بأس أن يشترك في تلك الهيئة الاختصاصيون في علم الاقتصاد والاجتماع والنفس وخبراء إنمائيون.

-وضع مراجع نقدية مفهرسة تعرف بالإنتاج العربي حسب اختصاصاته المختلفة.

-تكليف لجان مختصّة لوصف التراث القديم والحديث وتقييمه علميا.

-تخصيص كل قطر عربي بعلم من العلوم وقضاياه لتطبيق هذا البرنامج حسب أعوام معينة.

-عقد مؤتمرات متوالية في البلدان المسؤولة عن اختصاصها لتقييم الأعمال المنجزة واتخاذ القرارات الجماعية.

فوحدة الثقافة تفترض وحدة المنهج وتوزيع الأعمال والمسؤوليات وتنظيمية القواعد وإلا آل التوحيد إلى تمهذب شكلي لا هدف له الاّ الاستبداد الفردي بعلمنا المشترك وذلك لغايات فيها من الخطر على وحدة الثقافة ما يفوق اختلافاتنا الموضوعية الحالية" (26).

وجمع الأستاذ الحمزاوي مجموعة من مقالاته بعنوان " المعجم العربي إشكاليات ومقاربات " (27) تدور حول محاورثلاثة هي:المعجم تاريخ ومنهج-المعجم واللسانيات، قراءات في المعجمية العربية المعاصرة.وله عشرات المقالات المبثوثة في المجلات العلمية كثير منها يمت بصلة متينة إلى موضوعنا وبعضها قد استفدنا منه في حواشي هذا البحث.وموافقة لا تخلو من جرأة في نقد المواقف المحافظة وتحث على وجوب التفتح والأخذ باللغات الأجنبية ودراسة المسائل اللغوية على أسس علمية عصرية وإعارة أهمية كبرى للاستعمال.

وللأستاذ عبد السلام المسدي اهتمامات بالموضوع انطلقت من موضوع أطروحته عن " التفكير اللساني في الحضارة العربية"(28)وكتابه" اللسانيات من خلال النصوص" (29)وتمثلت في نشره " قاموس اللسانيات عربي-فرنسي، فرنسي-عربي"،مع مقدمة في علم المصطلح(30).وفي هذه المقدمة الهامة التي امتدت على

حوالي تسعين صفحة نظر في العناصر التالية: العلوم ومصطلحاتها-أغراض القضية الاصطلاحية-اللسانيات وعلم المصطلح-الاصطلاح والحركة الذاتية-مراتب التجريد الاصطلاحي-مصطلح العالم وعلم مصطلحه-الجهود العربية في المصطلح اللساني-القاموس المختّص ونماذجه.وقد طرق الأستاذ المسدي الموضوع من جوانب مختلفة في عديد مقالاته خاصة في بحثه:"صياغة المصطلح وأسسها النظرية(مع دليل ببليوغرافي يحتوي 229 مرجعا)(31).

ويختم الأستاذ المسدّي مقدمته في شيء من التجاوز لعمله فيقول: "إنّ قاموسا مختصّا يرد مزدوج اللّغة ثنائيّ المدخل ويكتفي بكشف المصطلحات في ذاتها دون شرح لها ولأضرب أمثلة لدلالاتها لهو محدود الفائدة إذا ما ارتجى منه النّاس أن يعينهم على اقتحام حقول العلم ولا سيما في اللّسانيّات،لذا تعيّن تنزيله في منازله المقصودة منه،ففائدته الطّبيعية تبدأ ساعة يدرك مستعمله المفهوم الإصطلاحي كما صيغ في اللّغة الأجنبيّة وذلك عندما يكون المتصفّح على قدر من الاختصاص أو عندما يرجع إلى أحد القواميس الموسوعيّة في اللّغات الأجنبية"(32).

أما الأستاذ إبراهيم بن مراد فلعله في تونس أكثر المختصين توغلا في مشاكل المصطلح،اعتنى به قبل كلّ شيء في أطروحته الهامة عن،"المصطلح الأعجمي في كتب الطب والصيدلة العربية،بحث نموذجي في أصوله ومنزلته ومواقف العلماء منه"(33).وكذلك في "دراسات في المعجم العربي"(34) الذي جمع فيه مقالات هامة قدمت في البداية في مناسبات مختلفة بين سنتي 1970و 1986 وبحثت خاصة في: "المعجم العلمي المختص في تونس حتى نهاية القرن الثامن للهجرة"و"التداخل اللغوي والثقافي في كتاب (الاعتماد) لإبن الجزّار القيرواني" و"اللفظ الأعجمي في لسان العرب لابن منظور:منزلته ومنهج معالجته"و"منزلة مستدرك دوزي من المعجمية العربية"و" الفيقلة والقيفلة كلمتان أهملتهما المعاجم"و"انتقال مقالات ديسقريديس إلى الثقافة العربية:ترجمة ومراجعة وشرحا"و"منهج ابن البيطار في معالجة المصطلح النباتي والصيدلي في كتاب الجامع"و"المشاكل المنهجية في نقل المصطلح الأعجمي إلى العربية"و"منهجية في تعريب الأصوات الأعجمية" و"نظرات في كشف الخصوصيات المعجمية في فرنسية إفريقيا السوداء". وللأستاذ ابن مراد كذلك كتاب " المعرب الصوتي عند العلماء المغاربة" (35)رجع فيه خاصة إلى تآليف ابن الجزار والإدريسي وابن البيطار بعد أن استعرض بسرعة محاولات المحدثين (رفاعة طهطاوي وعبد القادر المغربي وأمين معلوف ومصطفى الشهابي)وكذلك محاولة المجمع العلمي العربي بدمشق ومحاولة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ووصف مختلف الظواهر المتصلة بالموضوع وحللها،وقارن بين مواقف القدامى ومواقف المحدثين، ووضع من جملة الفهارس فهرسا للمصطلحات الأعجمية المعرّبة. وللأستاذ إبراهيم ابن مراد مقالات علمية تتصل بهذه المواضيع في الكثير من المجالات العلمية وكذلك فإن له حضورا متميزا في مختلف الملتقيات المتصلة بالمصطلحات والمعاجم وتاريخ العلوم عند العرب.

٧-مساهمات بعض المؤسسات التونسية

لئن كانت السياسة التعليمية لم تتخذ موقفا واضحا من تعريب التعليم العالي فإن بعض أساتذة التعليم العالي

قد قاموا بمجهودات فردية في إلقاء دروس بالعربية مثل الأستاذ سليم عمّار بكلية الطب بتونس والأستاذ أحمد ذياب بكلية الطب بصفاقس وتوجد بعض المجهودات في نشر بعض الكتب العلمية بالعربية إلاّ أنّ هذه المحاولات تبقى مختشمة.

ولا بد من أن نقول أن المجهود التنظيري الأكبر قد قامت به أقسام العربية في كليات الآداب والعلوم الإنسانية وخاصة كلية الآداب بتونس إذ تعقد من حين إلى حين ملتقيات تتعرض إلى بعض جوانب الموضوع انطلاقا من دراسات لغوية وألسنية (36).وقد كون قسم الجغرافيا بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بتونس لجنة نظرت في المصطلحات الجغرافية وانتهت إلى نشر معجم (37).

ونشير أيضا إلى المجهودات التي يقوم بها خاصة قسم اللسانيات بمركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية بتونس بعقده ملتقيات دورية تتناول هذه القضايا وتنشر وقائعها (38).

ولا يفوتنا أن نشير إلى الدور الهام الذي تقوم به في موضوع اهتمامنا جمعية المعجمية العربية بتونس التي تأسست سنة 1983 ومن أهم أهدافها "الاهتمام بقضايا المعجم العربي قديما وحديثا في مستويي التنظير والتطبيق"(39).وتصدر خاصة مجلة مختصة نصف سنوية تحمل اسم " مجلة المعجمية " صدر العدد الأول منها في صائفة1985.

وتمثلت أهم أنشطة جمعية المعجمية أيضا في تنظيم بعض الندوات العلمية مثل ندوة " إسهام التونسيين في إثراء المعجم العربي التي انعقدت بتونس أيام1-2-3 مارس 1985 وصدرت وقائعها عن دار الغرب الإسلامي في بيروت سنة 1985.ونظمت أيام 15 و 16 و 17 أفريل 1986ندوة علمية حول ثلاثة من المعجميين وهم: أحمد فارس الشدياق وبطرس البستاني اللبنانيين ورينهارت دوزي Reinhart Dozy الهولندي بمناسبة الذكرى المائوية الأولى لوفاتهم.

وللجمعية اهتمام خاص بمنهجية وضع "المعجم التاريخي الموسوعي للغة العربية."

ونصل في الختام إلى مساهمة بيت الحكمة التونسي المعاصرالذي تأسس سنة 1982 باسم " المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات".وكان من ضمن أقسامه:المعهد الوطني للترجمة الأدبية والعلمية ووضع المصطلحات-ومعهد تاريخ النصوص وتحقيقها ودراستها (40).ورقيّت هذه المؤسسة في 30 نوفمبر 1992 إلى مجمع تونسي للعلوم والآداب والفنون " بيت الحكمة" ونص الفصل الثاني من القانون المحدث على مهام المجمع ومنها:

-المساهمة في إثراء اللغة العربية والسهر على سلامة استعمالها وتجميع قدراتها وتطويرها لكي تواكب مختلف العلوم والفنون وذلك بالتنسيق مع المؤسسات الشبيهة في العالم.

-المساهمة في العناية بالتراث في مجالات البحث والنشر وتأليف المعاجم والموسوعات وترجمة المؤلفات.

وفي نية المجمع أن يقوم بدور فعال في تنسيق الأعمال المتعلقة بالمصطلح والتعريب بين مختلف المؤسسات العلمية والإدارية التونسية.ويوجد الآن ضمن

منشوراته المتصلة بموضوعنا:

من سلسلة تحقيق النصوص:

-"زاد المسافر وقوت الحاضر" لابن الجزّار(الجزء الأول) تحقيق محمد السويسي والراضي الجازي-1986.

-"الفوز الأصغر" لمسكويه،حققه صالح عضيمة ونقله من العربية إلى الفرنسية روجي أرنالداز-1987.

-"كشف الأسرار عن علم حروف الغبار" للقلصادي، حققه ونقله من العربية إلى الفرنسية محمد السويسي-1988.

-"نظرية المتوازيات في الهندسة الإسلامية"،تحقيق خليل جاويش-1988.

-" الغريب المصنف" لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي،تحقيق محمد مختار العبيدي، جزءان.

-"المنصوري في البيزرة "، تحقيق عبدالحفيظ منصور-1989.

-" تفسير كتاب دياسقوريدوس في الأدوية المفردة"لابن البيطار،تحقيق إبراهيم بن مراد - 1990.

ومن سلسلة الترجمة:

-"التفكير الجديد في الفيزياء الحديثة " لأرتور مارش، نقله إلى العربية علي بلحاج -1986.

- "لغة الرياضيات في العربية "ألفه بالفرنسية ونقله إلى العربية محمد السويسي-1989.

-"معجم الجغرافيا " تأليف مجموعة من الأساتذة الجامعيين - 1988.

-"السيرة الذاتية" لجورج ماي/نقله من الفرنسية إلى العربية محمد القاضي وعبدا لله صولة-1992.

-"معجم المصطلحات القانونية"،إعداد مجموعة من الأساتذة الجامعيين 1993.

ومن سلسلة البحوث والدراسات:

-"تحولات العلم الفيزيائي ومولد العصر الحديث" تأليف حمادي بن جاء با لله-1986.

-" الترجمة ونظرياتها " إعداد مجموعة من الأساتذة الجامعيين-1989.

-" تأسيس القضية الاصطلاحية" إعداد مجموعة من الأساتذة الجامعيين- 1989.

-" تاريخ العلوم عند العرب " إعداد مجموعة من الأساتذة الجامعيين -1990.

- " المعجم العربي التاريخي " وقائع الندوة التي نظمتها جمعية المعجميّة العربية بتونس(14-17 نوفمبر 1989)-1991.

-"المعجم العربي :إشكالات ومقاربات " تأليف محمد رشاد الحمزاوي- 1991.

-"من الذرة إلى الليزر" تأليف المنصف بوعنز-1992.

ومن سلسلة فهارس ومراجع:

-"دليل الآداب المترجم"(القسم الأول: الإبداع) إعداد عبد الوهاب الدخلي-1990.

-" الإسهام التونسي في تحقيق التراث المخطوط" (1860-1988)إعداد عبدالوهاب الدخلي- 1990.

وبالإضافة إلى هذه المنشورات فإن بيت الحكمة نظم عديد الندوات والمحاضرات المتصلة إن قريبا أو بعيدا بموضوع ندوتنا ولعلّ من أهم ما نظم في هذا الصدد

" ندوة توحيد تعريب المصطلح الطبي " التي عقدها اتحاد المجامع العربية بالمشاركة مع بيت الحكمة أيام 3-4-5 مايو 1992.(41).

الخاتمة

تلك ملاحظات خاطفة عن " مساهمات تونسية في وضع المصطلحات العلمية" لم أعطها حقها كما يجب وأغفلت غيرها أردت بها فحسب لفت انتباه الإخوة في المشرق إلى مجهودات إخوانهم بتونس لأن الشرط الأول في تطوير مناهجنا وتوحيدها هو الاطلاع على أعمال بعضنا البعض ونحن مع الأسف الشديدكثيرا ما ندور في حلقات مفرغة ننظم الملتقيات ونكتب المقالات لكي نقول في الغالب نفس الأشياء ولا بأس بالاختلاف والتنوع إن بقي في الحدود العلمية المعقولة والمهم هو العلم إذ هو يفرز الأحسن.

وكثيرا ما تبدو المدرسة التونسية كثيرة الانفتاح وربما الانبتات وقد لا يخلو ذلك من الصحة إذ هي متفتحة إلى مختلف التيارات المعاصرة آخذة بأسباب الحداثة ولكنها في الغالب متأصلة في أعماق التراث. وأرجو أن تكون بعض الأمثلة التي ذكرت قد بينت ذلك. وأعتذر في الختام عن التقصير في هذا العمل المقدم إذ هو بعيد شيئا ما عن اختصاصي وإن كنت قد شغفت به في أول عهدي بالبحث وأنا أرجع إليه الآن بحكم مسؤولياتي على رأس المجمع التونسي.

والحقيقة أن موضوع ندوتنا هذه "تطوير منهجية وضع المصطلح العربي وبحث سبل نشر المصطلح الموحد وإشاعته" لئن تطلب المختصين في مشاكل اللغة والمصطلح فإن كل المختصين من مختلف العلوم بل عامة المثقفين معنيون به لذا تجرأت على إبداء الخواطر التي استمعتم إليها وما لا يدرك كله لا يترك جله.وشكراً لكم على صبركم وحسن إصغائكم والسلام.

الهوامش

1-انظر مقال محمد الطالبي .Du nouveau sur l'I'lizal en Ifriqiya dans R.T.S.S.1975(n°40-45)p.67.

2-عن بيت الحكمةالتونسي وأبرز علمائه، انظرخاصةح. ح. عبد الوهاب:ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية ج 1 :192-266.

3-إبراهيم بن مراد:دراسات في المعجم العربي ص13(دار الغرب الاسلامي، بيروت 1987).

4- إبراهيم بن مراد:دراسات في المعجم العربي (دار الغرب الاسلامي، بيروت 1987).

5-انظر عنه خاصة:إبراهيم بن مراد:دراسات في المعجم العربي، ص27، تعليق1 (دار الغرب الاسلامي،بيروت 1987).

6-عن مخطوطات الكتاب وترجماته وتلاخيصه انظرابن مراد:دراسات ص1ث-37.

7-ابن مراد:دراسات ص 25-26 الهيلة:مقدمة سياسة الصبيان، ص 37-38.

8-ابن مراد: دراسات، ص 40.

9-عن كل التفاصيل المتعلقة بحياته وآثاره ومنزلته انظر أطروحتنا:ابن عرفة والمذهب المالكي بإفريقية في القرن XIV/VIII(بالفرنسية) جزءان، نشر الأول بتونس، منشورات كلية الآداب1992،والجزء الثاني تحت الطبع،وكل الأطروحة تترجم الآن إلى العربية.

10-مثل المستشرقين روبار برانشفيق (R. Brunchvig) وروجي هادي إدريس ،انظر أطروحتنا عن ابن عرفة ج 1ص 393.

11-نشر هذا الشرح في طبعة حجرية بفاس سنة 1898/1316 ثم طبع بتونس سنة 1931/1350 وطبعته أيضا وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية سنة 1992/1412 وأصدرته أخيرا دار الغرب الإسلامي،بيروت 1993.

12-انظر ترجمته الذاتية،حوليات الجامعة التونسية، عدد 6 سنة 1969، ص35-55.

13-حوليات الجامعة التونسية، عدد 6 سنة 1969 ، مقال:مشاكل اللغة من خلال حياة ح.ح.عبدالوهاب ص 27.وانظر أطروحة الأستاذ الحمزاوي: L'Académie Arabe du Caire (الفهرس).

14-انظر عنه خاصة:محمد مواعدة:محمد الخضر حسين-حياته وآثاره(الدار التونسية للنشر، تونس 1974).

15-مواعدة:محمد الخضر حسين، ص 80.

16-نفس المرجع ، ص 114.

17-مواعدة: محمد الخضر، ص 153.

18-انظر ترجمته الذاتية وقائمة من بحوثه في حوليات الجامعة التونسية، عدد27 سنة1988، ص6-15.

19-نشر الجامعة التونسية-تونس ص1975،660 (بالفرنسية).

20-مجمع اللغةالعربية بدمشق،ص157.وعدد هذه المصطلحات 160 مصطلحا.

21-نشر الدار التونسية للنشر-تونس والمؤسسة الوطنية للكتاب-الجزائر 1987.وقد صدرالقسم الأول من هذا المعجم في العدد 24 من مجلة حوليات الجامعة التونسية/سنة 1977.

22-المصطلحات،المقدمة، ص11-12.

23-نفس المرجع، ص 14.

24-نفس المرجع، ص 17.

25-نشر دار الغرب الإسلامي،بيروت 1986،130 ص

26-حوليات الجامعة التونسية، عدد 12/1975،مقال: توحيد المصطلحات للحمزاوي، ص 61-62.

27-نشر بيت الحكمة، قرطاج 1991.

28-نشر الدار العربية للكتاب،تونس 1984.

29-نشر الدار التونسية للنشر ،تونس 1984.

30-نشر الدار العربية للكتاب،تونس 1984

31-انظر المقال الأول من كتاب "تأسيس القضيةالاصطلاحية"(نشر بيت الحكمة،قرطاج 1989).

32-قاموس اللّسانيات، ص 96.

33-ط.دار الغرب الإسلامي،بيروت 1985،جزءان.

34-ط.دار الغرب الإسلامي ،بيروت 1985.

35-نشر الدار العربية للكتاب،ليبيا،تونس 1978.

36-انظر مثلا أعمال ندوة " القراءة والكتابة " المنعقدة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بتونس من 30 مارس إلى 2 أفريل 1982،نشر كلية الآداب،تونس1988 وأعمال ندوة " صناعة المعنى وتأويل النص" المنعقدة بكلية الآداب بتونس من 24 إلى 27 أفريل 1991،نشر كلية الآداب-تونس1992.

37-نشر بيت الحكمة- قرطاج سنة 1988.

38-انظر مثلا:

-ملتقى اللسانيات الأول سنة 1987: علاقة اللسانيات العامة باللغة العربية.

-ملتقى اللسانيات الثاني سنة 1981:اللسانيات في خدمة اللغة العربية.

نشر مركز الدراسات،تونس 1983.

-ملتقى اللسانيات الثالث المنعقد بتونس من 18 إلى 23 فيفري 1985حول "الظواهر اللسانية الاجتماعية"،نشر في سلسلة اللسانيات عدد 6-تونس1986.

-ملتقى اللسانيات الرابع المنعقد بتونس من 9 إلى 12 نوفمبر 1987 حول "اللسانيات العربية والإعلامية"،نشر في سلسلة اللسانيات عدد 7، تونس 1989.

39-انظر العدد الأول من مجلة المعجمية /1985، ص 222.

40-انظر القانون، عدد90 لسنة 1982 المؤرخ في 20 ديسمبر 1982،الفصل الرابع.

41-نشر أعمال هذه الندوة وقراراتها وتوصياتها اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية - القاهرة 1992.